الباب الثاني

مع الناس

تمهيد

الباب الثاني، مع الناس ويتكون من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل موضوع منها محورًا تربويًا متميزًا، وحتى لا تمل من التشابه أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استرادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة؛ كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا فمَن تناول الباب بهذا الترتيب، سار في المحاور كلها بتوازن وتخطى ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت- بسهولة- الجوانب الوجدانية والعملية.

ومن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة فله ما أراد، فبإضافة كل موضوع إلى نظيره في باقي الفصول الأربعة يكتمل المحور في جانبه العملي والمعرفي.

فالمحور الأول يعني ببعض الأصول التي يُفهَم الإسلام في إطارها، فيعرض لقاعدة عظيمة في دين الإسلام وهو أنه لا "إكراه في الدين" فلا نكره أحدًا، ولا أحد يكرهنا ولا نترك أحدًا يكره أحدًا. ثم يبين أن العقيدة أساس العمل

والمحور الثاني: يعني بالإيمان وزيادته وإيقاظه، فيُبيِّن ضرورة مراعاة المسلم للصلاة في وقتها، ويبرز أهمية الحب في الله، ويدله على آداب عيادة المريض وفوائده للمريض والصحيح، كما يؤكد على صلة الرحم.

والمحور الثالث يبين أن للمسلم مرجع أصلي واحد هو الوحي المتمثل في القرآن والسنة، وأن القرآن يفهم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات، وأن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

أما المحور الرابع. فيعتني بالرقائق من خلال تدبر الموت وأحوال الآخرة، فندرك من خلاله أن الحياة في ذكر الموت، ونتأمل في أهوال يوم القيامة، ثم نُبيِّن عذاب أصحاب النار حين يُستقبلون باللعنات على أبوابها، ونرى كيف تستقبل الملائكة أصحاب الجنة.

*****

الفصل الأول

١- لا إكـــــــراه في الـــــــدين

٢- الصـــــــلاة لوقتـــــــها

٣- الـــــــوحي مرجعنـــــــا

٤- الحيـــاة في ذكـــر المـــوت

١ - لا إكراه في الدين

لا إكراه في الدين، قاعدة عظيمة في دين الإسلام العظيم، قال الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ولقد شُرِحَت هذه القاعدة مرات عديدة، ومعظم الشروح تناولتها من جانبٍ واحد، فمعظم الشارحين تكلموا في هذه القاعدة من مطلق أن المسلمين **لا يُكْرِهُون** أحدًا على اعتناق دين الإسلام، لكن مقتضى شروح العلماء تجعل لهذه القاعدة ثلاثة جوانب، هذه الجوانب هي: أن **لا نُكْرِهَ** أحدًا، وأن **لا يُكْرِهَنا** أحد، وأن **لا نترك** أحدًا **يُكْرِهُ** أحدًا في الدين.

لا نُكْرِهُ أحدًا:

نحن المسلمين لا نُكْرِهُ أحدًا على اعتناق دين الإسلام، فنحن نعرض ديننا، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، قال الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

إن دخول الإيمان قلوب الناس متعلق بمشيئة الله ﷻ، ونحن المسلمين لا نتدخل في هذه المشيئة، لكننا نعمل ستارًا لمقامها، فنستر القدرة: قدرة الله ﷻ ومشيئته، ونأخذ الأجرة: ثواب الله ﷻ على طاعته، وفي

---

١ - الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

٢ - من الآية ٢٩ من سورة الكهف.

نفس الوقت نُعْذِرُ أنفسنا أن قمنا بواجبنا، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، لذلك مُنِعْنا من إكراه الناس على الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]، بل لا يصح أن نؤدي أنفسنا بالحسرة عليهم لأنهم تولوا، لقوله عز وجل: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3].

إن الله ﷻ يريد من الإنسان الإيمان الاختياري، إن الله ﷻ قادر على تعجيزهم بآية من السماء لا قِبَلَ لهم بها، وهو عز وجل قادر على إجبارهم على الخضوع والإيمان، لكنه سبحانه وتعالى لم يشأ ذلك، قال الله ﷻ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[4].

تحذير:

ومن مظاهر إكراه الآخرين على ترك دينهم. الظلم الذي يقع على

١- الآية ١٦٤ من سورة الأعراف

٢- الآية ٩٩ من سورة يونس

٣- الآية ٨ من سورة فاطر

٤- الآيات ٣، ٤ من سورة الشعراء

أهل الذمة والمعاهدين من أهل الكتاب، وانتقاص حقهم وإيذائهم، يقول رسول الله ﷺ: "أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [رواه أبو داود، الحديث ٢٦٥٤]

لفتة واقعية:

هذا المعنى الراقي في الإسلام يظل حبيسًا إن لم يتحرك به المسلمون بين الناس، والحركة بهذا المعنى تكون بأن يربي أنفسنا عليه، ويربي مَنْ هم في رعايتنا على أساسه، ثم لابد له من أن يتبع بين عموم المسلمين ليكون لهم سلوكًا، ومن يتيسر له توصيله إلى غير المسلمين فلا يتقاعس، فربما تتضح لهم رفعة الإسلام، أو يصيروا أكثر احترامًا للمسلمين.

*****

٢- الصلاة لوقتها

الصلاة هي الركن الثاني للإسلام بعد الشهادتين، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ". [رواه البخاري، الحديث ٧]

والصلاة شعيرة تُؤَدَّى خمس مرات على الأقل كل يوم وليلة، ولها أوقات محددة، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[1].

وتوريع الصلاة على أوقات اليوم والليلة كفيل بحفظ المُصَلِّي من شرور نفسه، قال الله ﷻ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]

فضل عظيم

ومن فضل الله ﷻ علينا أن جعل في محافظتنا على الصلاة فائدة عظيمة، لقد جعل الله ﷻ أداء صلاتين في وقتهما سببًا للنجاة من النار، وجعل الانتظام في الصلوات الخمس المفروضة سببًا في غفران الذنوب،

١- من الآية ١٠٣ من سورة النساء

٢- الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

وعَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ[1] دَخَلَ الْجَنَّةَ". [رواه البخاري، الحديث ٥٤٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ". [رواه مسلم، الحديث ٣٤٢]

إهمال وتقصير.

قد يعمل الفرد عن الفرصة العظيمة المتاحة له في الصلوات، ويتطرق التقصير إلى صلاته، فتارة يسهو عنها، وتارة تُلْهِيه أمور أخرى، وتارة يُضَيِّعُها بدون عذر.

فلحذر السهو عن الصلاة، وليس ما من فرد إلا واعتراه سهو في الصلاة، والحمد لله أنه عز وجل لم يتوعد الساهين في الصلاة، لكنه سبحانه وتعالى توعد الساهين عن الصلاة والعياذ بالله، قال الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[2]، ومن السهو عن الصلاة تأخيرها عن وقتها

فهلا حمدنا الله ﷻ أن عفا عن سهونا في الصلاة، وهلا شكرناه باحترازنا من السهو عنها

ولنحذر أن يُلهينا شيء عن الصلاة، فلا يُلهينك مالُك عن الصلاة

١- البردان: الفجر والعصر

٢- الآيتان ٤، ٥ من سورة الماعون

فتكون كقارون، ولا يُلهيك مُلْكك عن الصلاة فتكون كفرعون، قال الله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]، وتَلَهِّي المؤمن عن الصلاة يكون بتأخيرها عن وقتها.

ولحذر أن نضيع الصلاة، فإن الذي يضيعها سيلقَى شرًّا وضلالاً، ثم يُلقَى في وادٍ من أودية جهنم يسمى الغَيّ، قال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2]، وتضييع الصلاة ليس تركها كليًّا فقط، وإنما من تضييعها تأخيرها عن وقتها

نصلي في أول الوقت.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ. سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ "الصَّلاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:"ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:"الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي. [رواه البخاري، الحديث ٢٥٧٤]

ولا ينبغي أن نُفوّتَ فضل الصلاة في أول الوقت، إلا أن يكون هناك عذر شديد، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَذَّنَ مُؤَذِّنُ النَّبِيِّ ﷺ الظُّهْرَ

١- الآية ٩ من سورة [المنافقون]

٢- الآية ٥٩ من سورة مريم

فَقَالَ: "أَبْرِدْ [1] أَبْرِدْ، أَوْ قَالَ: "انْتَظِرِ انْتَظِرْ"، وَقَالَ: "شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ [2] جَهَنَّمَ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى رَأَيْنَا فَيْءَ التُّلُولِ [3]. [رواه البخاري، الحديث ٥٠٣]

والآن:

قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما كانت الظروف، فحميل أن تبادر فورًا إلى تلبية نداء الصلاة، وجميل أن تحرص على أن يكون ذلك جماعةً في المسجد، والأجمل أن تشارك من تحب في ذلك، فالمشاركة في الطاعة تربط بين القلوب، وللمرأة مثل ذلك في المنزل مع زوارها وأهل بيتها

*****

١- أبرد من الإبراد، وهو تأخير الصلاة حتى تخف شدة الحر

٢- الفيح شدة اللهب

٣- فيء التلول ظل الظلال، أي المجتمعات المرتفعة من التراب

٣- الوحي مرجعنا

للمسلم مرجع أصلي واحد هو الوحي، ولهذا الوحي صورتان: الوحي المتلو وهو القرآن الكريم، والوحي غير المتلو وهي سُنَّة النبي ﷺ، والمسلم الحريص على عدم مخالفة الوحي يتمهل عند كل تصرف حتى يعرضه على القرآن الكريم والسنة المطهرة، فإن لم يخالفهما أمضاه، وإن خالفهما ألغاه، ويقال لمن يفعل ذلك الوحي مرجعه، أو. إن مرجعيته الوحي، وإن شئت قلت: إن مرجعيته إسلامية

المرجعية النظرية والمرجعية العملية.

المسلمون معظمهم يُقر بالوحي مرجعًا، لكن مِنْهم مَن يكتفي بالقول، وهو صادقٌ في إقراره، ومنهم مَن يُتْبِعُ هذا الادعاء الصادق بعملٍ يؤيده.

ومن اكتفى بإعلان رضاه بالوحي مرجعًا فمرجعيته نظرية، إنما تسكن فكره وعقله، أما من يلتزم عمليًّا بمقتضى هذه المرجعية بأن يدَع العمل المخالف للوحي، فإن مرجعيته عملية، لأنها تحكم جوارحه، فهي تسكن قلبه ووجدانه فضلاً عن فكره وعقله، هذا المسلم تراه يتحرى التَّعَرُّفَ على أحكام الإسلام من الوحي، بل تراه يستحيي أن يقول: هذا رأي الإسلام، لكنه يقول: هذا حكم الإسلام، لأن بعض الناس تفهم أن الرأي يمكن أن يؤخذ به ويمكن أن يُرَدَّ.

التعَرُّف على أحكام الإسلام:

القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام.

أما القرآن الكريم، فهو الكلامُ المُعْجِزُ المُنَزَّلُ على الرسول محمد ﷺ والمنقول عنه بالتواتر، والمُتَعَبَّد بتلاوته، وهو المكتوب في المصاحف، هذا القرآن يُعَرِّفُنا ربنا ﷻ لنعبده، ويُعَرِّفُنا بالكون الذي سَخَّرَ لنا لنَعمُرَه، ويُعَرِّفُنا بأنفسنا لنوطفها في طاعة ربنا، ويُعَرِّفُنا بمصيرنا لنستعد له، فهو هدايةٌ لنا في كل مجال، قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال الله ﷻ. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[2].

أما السُّنة المطهرة، فهي كل ما صحت روايته عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ولقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ وحيٌ من كلام الله ﷻ غير القرآن، وهو الحديث القُدْسي.

وفي الحديث القُدْسي المعنى واللفظ من عند الله ﷻ، لكنه لا يُتَعَبَّدُ بتلاوته، ولا يُتَحَدَّى بإعجازه، وقد رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث أخرى، المعنى فيها وحيٌ من عند الله ﷻ، واللفظ فيها للنبي ﷺ،

١- الآية ٢ من سورة البقرة

٢- من الآية ١٨٥ من سورة البقرة

قال الله ﷻ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، وهذه الأحاديث هي أكثر السُّنة.

لقد جعل الله ﷻ السُّنة وحيًا ليُعملَ بها، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

- وعليا الأخذ بالقرآن والسُّنة معًا، لا نكتفي بأحدهما، وإلا فكيف نعرف كيفية الوضوء وطريقة الصلاة ومواقيتها إن اقتصرنا على القرآن؟

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" [رواه ابو داود، الحديث ٣٩٨٨]

وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[3]

الوحي نور وتنوير

الإنسانية في ظلمات ما لم تستنر بنور الوحي، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[4]، وبدون نور

١- الآيتان ٣، ٤ من سورة النجم

٢- من الآية ٧ من سورة الحشر

٣- الآية ٥٩ من سورة النساء

٤- الآية ٣٩ من سورة النور

الله تُطْفِق الظلمات، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1]

ولقد جاءنا الوحي بالنور والتنوير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[2]

حذار من الإعراض:

إن الإعراض عن الاستنارة بنور الوحي، والاستعناء عن الرجوع إليه، واتخاذ مرجعية أخرى غيره له عواقب وخيمة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[3]

نماذج واقعية:

لكي نكون عمليين، تعالوا نراجع كل يوم عملاً من أعمالنا نعرضه على الوحي في الكتاب والسنة، إن وافقه أمضيناه وشكرنا ربنا، وإن خالف العملُ الوحيَ تركناه واستغفرنا ربنا، ولنبدأ بالترتيب الطبيعي لأعمال اليوم والليلة، بأحد عملاً عملاً، فنشكر أو نستغفر.

تعالوا نستر تعبير"حكم الإسلام" كبديل عن تعبير"رأي الدين"،

١- من الآية ٤٠ من سورة النور

٢- الآية ١٧٤ من سورة النساء

٣- الآيات ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦ من سورة طه

تعالوا نُذكّر مرةً أو مرتين بضرورة الأخذ من الكتاب والسُّنة معًا، ولنعتصم في ذلك بمرصة الوضوء والصلاة، وهما عملان يتكرران كل يوم.

تعالَوا نَستَعِدّ لقطع التنوير المسروق، الذي سرقه أعداء الدين ليُسَمُّوا به إفرازات عقولهم المنفصلة عن نور الوحي، فهيا نُعَرِّف عددًا محددًا من الناس الحقيقة، إن النور والتنوير لا يكونان إلا مع الوحي

ثم لنتدبر ولو مرة في الأسبوع ما يكابده أهل المعاصي من ضيق وصلك جزاء إعراضهم عن موافقة الوحي، ونذكر ما يتطرهم من ذلك في الآخرة، ثم ندعو الله أن يرزقنا حياة طيبة ذاكرين قوله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

*****

١- الآية ٩٧ من سورة النحل

٤- الحياة في ذكر الموت

عرفتَ أن الموت لا مفر منه، وأن الكُلَّ يَهْدِم والنقص يسري، وأن الموت يتحول نيسا، وأن الكل يموت، حتى الذكرى تموت، وفي هذا الجزء ندرك أن"الحياة في ذكر الموت"

القلوب تحيا:

فإن حياة القلوب في ذكر الموت، كما يقول الربيع بن خُثيم[١]:"لو فارق قلبي ذكر الموت ساعة فسد عليَّ"[٢]، ذلك أن ذكر الموت يجعل القلب متجهًا نحو هدف واحد هو الآخرة، فإذا نسيها وركنه طول الأمل هام في أودية الدنيا وشهواتها، وتشتت شمله، ولم يجد من يُرْدعُه عن غيِّه، فإن الذي كان يُقَيِّدُ النفس عن فسادها هو ذكر الموت، وكما قيل:"كفى بالموت واعظًا".

الرضى بالعيش:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ:"**أكثروا ذكر هادم اللذات الموت، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسّعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيّقها عليه**"[٣]

١- الربيع بن خثيم أحد التابعين

٢- صفة الصفوة، (٣/٣٢).

٣- الحديث رواه البيهقي وابن حبان، والبزار عن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢١١)

فالإنسان لا يفكُّ عن حالين. صيق وسعة، أو محنة ومنحة، فإن كان في حال سعة فإن ذِكْرَ الموت يمنعه من الاغترار بهذه النعمة، فلا يستعملها إلا في طاعة الله، وإن كان في حال صيق ومحنة في حياته فذكر الموت، فإنه يهوِّن عليه ما هو فيه من الصيق، ويشعر أن ما هو عليه الآن من الصيق لا يساوي شيئًا في مقابل سكرة الموت؛ وهذا يمتلك الدنيا ويصبح غنيًّا كما قال الرسول ﷺ عن أنس بن مالك"مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ" [رواه الترمذي، الحديث ٢٣٨٩].

شموع الليل:

والليل مظلم، وظلمته موحشة تشبه الموات الذي في ظلمة القبور، والإنسان ينام فيه، والنوم نوعُ موتٍ، وقد أفلح من أشعل شمعة الإيمان في ظلمة الليل بالصلاة والذكر والدعاء، واستجاب لنداء أبي در العفاري ﷺ حين نادى في وعظه:"صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور"[1]، فكأنَّ ذِكْر الموت هو الزيت الذي تضاء به شموع الليل، كما كان يفعل عمر بن عبد العزيز، حيث كان يجمع الفقهاء كل ليلة، فيتذاكرون

١- ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، بيروت المكتب الإسلامي، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص٤٧

الموت والقيامة والآخرة، ثم يكون حتى كأن بين أيديهم حجارة[1].

فمن عرف أنه مقبل على ليلة شديدة الظلمة في قبره، كيف لا يحيي ليله بسموع الصلاة والذّكر والدعاء؟

إحياء الأمة بذكر الموت

بعد موت رسول الله ﷺ انتشرت الفتوح الإسلامية، وأخذت تلك الصفوة المؤمنة من الجيل الأول تحصد ثمار ما كابدت في زرعه، فما أن انقضى القرن الأول حتى لانت نفوس وضعفت عزائم، وسرى تَطَرٌّ في جيل جديد، فأبرى لهم الأمير الفقيه العابد عمر بن عبد العزيز فأرخف بذكر الموت قلوب جيله رهبةً، فَنَفَضتْ رأسها[2]

وكان عُمر كثيرًا ما يعظ في جامع دمشق بقوله "ألا ترون أنكم كل يوم وليلة تشيّعون غاديًا إلى الله ورائحًا، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، وطوى عمله، ثم تضعونه في صُدْعٍ[3] من الأرض في بطن لحد، ثم تدعونه غير موسدٍ[4] ولا ممهد، قد خلع الأسلاب[5]، وفارق الأحباب، ووُجِّه للحساب، غنيًّا عما ترك، فقيرًا إلى ما قدم؟!"[6].

١- أبو حامد العراقي، إحياء علوم الدين، القاهرة دار الحديث، (١٤١٢هـ ١٩٩٢م)، (٤٦/٥)

٢- رأسها الرأس الجحاف، ويقصد به هنا الذنوب ومنه قوله عز وجل ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ الآية

٣- صدع شق

٤- أي بدون وسادة الرأس

٥- الأسلاب جمع سَلَب، وهي الملابس التي عليه

٦- انظر المنطلق ص ٥١، والرقائق ص ١٧، كلاهما لمحمد أحمد الراشد

بعد العطة العمل:

فلا ننشغل بطول الأمل عن العمل، ولْنكن على ذِكْرٍ دائم للموت، يقوم بعث هِمَّتنا للتزود من الخيرات وأداء الطاعات في هذه الحياة الدنيا، ولْيكن هذا الذكر مرتين: صباحًا ومساءً، ولا ننسى مهمتنا التي ابتعثنا الله لأجلها، وهي إيقاظ القلوب الغافلة عن ذكر الله، فَلْنُحْيِها بذكر الموت وبالتذكير الدوري أسبوعيًا

*****